

الموروث الثقافي في التراث السوسولوجي

Cultural heritage in sociological Inherited

¹ ماقري مليكة . magri.malika

magri.malika@yahoo.fr

¹ جامعة البويرة

الايمل: magri.malika@yahoo.fr

المؤلف المرسل: ماقري مليكة

تاريخ القبول: 2021/09/ 23

تاريخ الاستلام: 2019/03/ 14

الملخص: يطرح النقاش الثقافي اليوم أسئلة أكثر مما مضى حول علاقة التراث الثقافي بالتنمية المستدامة على الصعيد العالمي بعدما كان ينظر للثقافة على أنها أنشطة للترفيه والمتعة وبعض الإنتاجات الأدبية للتعبير عن الحواس المسموعة وهي نظرة ضيقة يغيب فيها الاجتهاد العقلي الذي بدا ينفر من هذه التحليل اليتيم الذي لم يكن يخدم غير قوى معادية للتعدد الثقافي أمميا وكان يختصر الثقافة في بعد انتروبولوجي صرف علما أن النظريات الجديدة في العلوم الإنسانية والاقتصادية والتجارية أثبتت أن التطور الثقافي مساهم استراتيجي في التطور الصناعي والتجاري والزراعي وهي بالدرجة الأولى رأس مال رمزي يتحول إلى رأس مال مالي يحقق الرفاهية والتقدم لأنه منتج فكري ومعاملات وأنشطة في حركية دعوية تدبر وتفكر وتقرر وتعمل وتبدع.... و شبكة هذه العلاقات هي من يغني العالم بتنوعه المزدهر ولأنه من المستحيل قيام نهضة تنموية خارج عن ثقافة متطورة لذلك تناول مداخلتنا هذا الجانب من الموضوع لتوضيح الإشكال القائم حول مفهوم الموروث الثقافي ودوره في التنمية.

الكلمات المفتاحية: التراث ، الثقافة ، الموروث الثقافي .

Abstract:

put on more questions than ever, a cultural heritage related to sustainable development at the global level after he was seen as a culture as activities to entertain and have fun, and some literary productions to express senses repressed a narrow view of the miss mental, which seemed so averse to this analysis, the orphan who did not serve non-hostile forces of multiculturalism internationalist and was abbreviated culture after Anthropologist exchange note that the new theories in the humanitarian, economic and commercial science has proven that cultural evolution shareholder strategically in the industrial, commercial and agricultural development which is primarily the head of symbolic capital turns to the top of financial capital to achieve prosperity and progress because intellectual products and transactions and activities in the kinetics of unremitting manage and think and decide and act and innovate And a network of these relationships is one of the world's diversity enriches booming and it is impossible to carry out developmental renaissance advanced culture so eating our intervention this aspect of the subject to clarify any confusion based on the concept of cultural heritage and its role in development.

Keywords: heritage, culture, cultural heritage

1. مقدمة:

إن لفظة تراث تحمل في طياتها العديد من المعاني والدلالات، مما جعلها موضع اهتمام الكثير من الباحثين والدارسين، فالدراسات التي اهتمت بالتراث شكلت مساحة واسعة خاصة في العصر الحديث، نظرا لأهميته ودوره في حياة الأمم. فما المقصود بالتراث؟ وما هي أهم عناصره؟ وما مدى أهمية وفاعليته في حياة الشعوب؟.

مفهوم التراث:

أ- التراث لغة: ورد في العديد من المعاجم اللغوية التعريف اللغوي للتراث، فقد ورد في لسان العرب أن أي أنه يدل على المال الذي يورثه الأب لأبنائه فالتراث مصدر من الفعل- ورث - الذي ما يخلفه الرجل لورثته وقد ورد في المعاجم العربية القديمة خاصة لسان العرب لابن منظور وكتاب العين للخليل ابن أحمد الفراهيدي أن لفظ التراث مرادف لكل من " الإرث " و " الورث " و " الميراث ".⁽¹⁾

قال ابن الأعرابي: " وإذا ارتبط الورث والميراث بالمال، فإن لفظ " الإرث " مرتبط بالحسب وأصل التاء في لفظ " التراث " وواو فنقول أن الأصل الإرث في الحسب، والورث في المال.

ب/ التراث اصطلاحاً: إذا كان لفظ تراث في المعنى العربي القديم – والذي أجمعت عليه المعاجم العربية القديمة – قد ارتبط بما يخلفه الأب لأبنائه بعد رحيله مما يملكه فإنه قد اتخذ معنى آخر في الخطاب المعاصر.

ولمعرفة مفهوم الموروث الثقافي نحاول أن نعرض بعض مفاهيم الموروث وسبب اختيارنا لفظ " موروث " بدل " تراث " لنصل من خلالها إلى مفهوم شامل يدل على المعنى الذي نسعى إليه بحثنا هذا، حيث أن الدارسين والباحثين اختلفوا في تعريفه، كل حسب وجهته ومنهجه وهو المخزون الثقافي المتوارث عبر الأجيال ، وأنه يمثل الأرضية المؤثرة في تصورات الناس وسلوكهم . ومن ثم يكون حاملاً للقيم وتجارب الشعوب إن التراث من منظور محمد الجوهري هو ما خلفه السلف للخلف، فلازم مسيرة حياتهم وأثر فيهم. وهو الكفيل بحفظ هويتهم كونه يمثل الخلفية والأرضية الثقافية الصلبة لهذه الأمة ومتنفسها.

ولما كان التراث هو ما نرثه من أجدادنا فمعنى هذا أنه يمثل الماضي، ويرتبط به، ولكن أي ما جاءنا من الماضي البعيد والقريب « ماضٍ نقصده ؟. يجيب محمد الجابري فيقول : التراث المرجعي التاريخي والابستمولوجي في عصر التدوين في القرنين الثاني والثالث للهجرة وامتداداته التي توقفت تموجاتها مع قيام الإمبراطورية العثمانية في القرن العاشر للهجرة (السادس عشر للميلاد) ⁽²⁾ أي مع انطلاق النهضة الأوروبية الحديثة وإذا ارتبط التراث بالماضي لا يعني أنه يمثل الماضي فقط دون الحاضر، وإنما هو كذلك الحاضر بل والمستقبل، لأنه يمثل جذور الأمة الضاربة في أعماقها وضميرها الحي، كون الأمة هي بمثابة الشجرة التي لا تقوى ولا تنمو إلا بصلاح جذورها، فكذلك الأمة لا تتقدم ولا تخطو خطوات نحو الأمام إلا بالرجوع أولاً إلى تراثها ومحاولة إحيائه والمحافظة عليه. أما سعيد يقطين فيوسع كل ما خلفه لنا العرب والمسلمون من جهة، ويتحدد زمنياً بكل ما خلفوه مجال التراث فيكون التراث بذلك كل ما أنتجه أسلافنا وخلفوه لنا من فكر لنا قبل النهضة من جهة ثانية عمل، مادياً كان أو معنوياً. وهذا التراث بقدر ما تهب عليه رياح الحداثة فإن معينه سيبقى جارياً لا ينضب، وبذلك تكون أهم سمة تميز هذا التراث هو الامتداد والاستمرارية أي أنه متداول بين أفراد المجتمع الواحد، وعناصره منتقلة من جيل إلى جيل، فلا يكاد يفنى جيل إلا ويستلمه جيل آخر. ⁽³⁾ إن تغيرت عبر الزمن إلا أنها تتصف – رغم ذلك بالاستمرارية. لأن ثقافة المجتمع و لا بد في النهاية من أن يوجد نمط معين من الحياة يهتدي به الناس في مزاوله حياتهم اليومية سواء

كانت بسيطة أو معقدة وإلى جانب سمة الاستمرارية يتسم التراث كذلك بالقدم والثبات. بمعنى أن التراث متصل بماضي أجدادنا من جهة، وعناصره الأساسية ثابتة، وإن طرأت بعض التغيرات على بعض عناصره تماشياً مع روح العصر وتطور الحياة.

وقد تعمدنا تحديد مصطلح التراث بدل مصطلح الموروث، لأن التراث عام وكلي من جهة، أما إذا أضفنا إلى ذلك ما هو متحول ومتغير، نتيجة تغير وثابت - نسبياً - من جهة أخرى معطيات الوقائع التاريخية فإننا سنكون إزاء الموروث، فالموروث أشمل من التراث لأنه يشتمل على كل ما أنجزه الأسلاف، وكل ما فكروا به، منه ما بقي، وما زال يمتلك مفاعيل مؤثرة فينا ومنه ما أدى دوراً في مرحلة من المراحل ثم تم تجاوزه بعد ذلك ينقل لنا دائماً ما شاهدناه ووقع عليه بصره من موروثات، سواء تلك التي ما زال المجتمع يقدرها ويعمل بها، أو التي هجرها ففقدت وظيفتها فكان استخدامها مصطلح الموروث بدل التراث أشمل وأدق. يعد التراث أمانة عامة عظيمة لا بد على الطبقة المثقفة - بالدرجة الأولى - وعامة الناس من جهة أخرى المحافظة عليه وصيانته، غير أنه ورغم قيمته وأهميته لازالت النظرة إليه غير موحدة، فهناك من يعلي من شأنه وهناك من يهون من قيمته، وهناك من لا يرفضه رفضاً تاماً.

1- الرأي المعارض للتراث:

يمثل هذا الرأي أنصار الحدائثة الذين يمجدون كل ما هو جديد ومستورد من الغرب، وفي مقابل ذلك يرفضون تراثهم، لأن التراث من منظورهم يمثل الماضي السحيق الذي ينتج عنه التخلف والانحطاط، بل إنه يقف كحاجز في وجه التقدم والحضارة ومن ثم لا بد من الانفصال والقطيعة معه للخروج من التخلف.⁽⁴⁾ أن المثل الأعلى يوجد في " إن أصحاب هذا الاتجاه يرفضون التراث رفضاً كلياً من منطلق الآخر. الغرب هنا، لا في الماضي، وأن التراث بوصفه ينتمي إلى زمن مضى لا يمكن أن يستمر في الحاضر لأنه لا يساير زماننا، وليس له ماضيه وبتر أي صلة بالحاضر الذي يختلف في الزمن والنشأة القدرة على مواكبة تطور العصر. لأن تحقيق التقدم الحضاري يتطلب انتهاج نظرة جديدة تسعى للتغيير، و لا يقف عند حدود الماضي.

2- الرأي المؤيد للتراث:

يمثل هذا الرأي السلفي الذي يهتم بالتراث اهتماماً بالغاً، كون هذا التراث عند هؤلاء لا يمثل لا يعني عندهم مجرد ثقافة أنتجت في ماضٍ، فلزمت حدود هذا الماضي، بل إن هذا التراث يطلب ليستثمر إذا

حاولنا الغوص في كنهه وخبائيه فإننا سنكتشف كنوزاً قيمة تنير للأمة طريق التقدم إذا أحسن الإنسان استغلاله واستثماره.

3- التيار الجدلي:

حاول هذا التيار التوفيق بين التيارين السابقين، بحيث لا يرفض التراث رفضاً كلياً، ولا يمجده ويقده، وإنما يقف موقف الوسط. فلا ثقافة الآخر العبقريّة تحقق النهضة، ولا الغوص في أعماق الماضي والانزلال عن الحاضر يحقق هو الآخر النهضة، وإنما النهضة تكمن في الربط بين الماضي جزءاً من الماضي بل يصبح الماضي نفسه جزءاً من الحاضر هو ما يشهده تطور الأمم اليوم. فكل أمة أرادت النهوض إلا وكانت أول خطوة تقبل عليها هي محاولة إحياء تراثها، لأن الانطلاق لا يكون من لا شيء وإنما يكون بالرجوع إلى أعماق الماضي وربطه بالحاضر.

ورغم اختلاف الدارسين في نظرهم إلى التراث، كل حسب اتجاهه ومعتقده، فإنه - في نظرنا - يبقى أمراً ضرورياً في حياة كل أمة لأنه متنفسها يعكس وجه ماضيها، وتاريخها حدير بالاعتزاز والتقدير خاصة ما يتعلق بجوانبه المضيئة الفاعلة في حياة الأمة وهي كثيرة .

-أنواع التراث (حسب تصنيف أريكسون)

- 1- التراث الاجتماعي: هو التراث (الحياة المباشرة) وعلى مستوى أفقي ممتد مع الحياة بأشكالها كافة .
- 2- التراث (النشأوي): يعد مكملاً للتراث الاجتماعي ويتضمن عليه النقل من جيل إلى آخر أو من مرحلة إلى أخرى وهذا النوع من التراث في تفاعل مباشر مع التراث الاجتماعي.
- 3- التراث المادي: ويتضمن جميع المنتجات الثقافية المخزونة

4- التراث الأدبي: يعتبر من المميزات الخاصة للتراث المادي وظهر مرتبطاً بفن الكتابة وهناك تشعبات كثيرة في التراث، منها التراث غير المادي وتدخل ضمنها الرقصات واطغانى وترقيص الأطفال والتراث الثقافي يدخل من ضمنها كل تراث الثقافات من أغاني وأشعار وقصص أو أساطير أو ملاحم وغيرها إلا أنها تؤكد حقيقة واحدة واضحة وضوح الشمس المشرقة، وهي أن التراث ليس أدباً قديماً وليس مؤلفات الأجداد

فقط، بل أن التراث يعيش في ثقافة الشعب ككل متكامل، وأن الجزء الأكبر من التراث يعيش في الحياة الشعبية Folklore والتي لها ثقافة مميزة هي الثقافة الشعبية (Culture) تميزها لها عن الثقافة الرسمية الموضوعية (المكتوبة) مثل القصص القصيرة والروايات التي وضعها الأدباء المحدثون.⁽⁵⁾

3- مصادر التراث:

أن ما خلفه الأقدمون من مصادر مكتوبة هي أهم مجال لدراسة الباحث عن التراث، يليها كتب الرحالة العرب والأجانب والمستشرقون والوثائق والمخطوطات كلها تعطي صورة متكاملة لمختلف جوانب الحياة التي أندثرت.

لكن حياة البشر اليومية أمر لا يمكن إغفاله، فقد انتقلت للثقافة المعاصرة، كل تجارب المجتمعات السابقة ويميل بعض الباحثين الى اعتبار التراث ظاهرة ثقافية توقفت عن التطور.⁽⁶⁾ وكانت مرتبطة بمرحل استخداماته :

تستخدم مواد التراث الشعبي والحياة الشعبية في إعادة بناء الفترات التاريخية الغابرة للأمم والشعوب والتي لا يوجد لها إلا شواهد ضعيلة متفرقة وتستخدم أيضا لإبراز الهوية الوطنية والقومية والكشف عن ملامحها. التراث والمأثورات التراثية بشكلها ومضمونها أصيلة ومتجذرة إلا أن فروعها تتطور وتتوسع مع مرور الزمن وينسب مختلفة وذلك بفعل التراكم الثقافي والحضاري وتبادل التأثير والتأثير مع الثقافات والحضارات الأخرى وعناصر التغيير والحراك في الظروف الذاتية والاجتماعية لكل مجتمع. ويتنوع التراث باختلاف ما تحمله الجذور إلى الشجرة. فقد تحمل إليها قوتها الممثل في الأملاح المعدنية وهو بمثابة ما دون من التراث فإن فقد فستصير الأمة كشجرة حبست عنها الأملاح المعدنية فستذبل حتما شيئا فشيئا ثم تضمحل. وقد تحمل الجذور الماء فتناقله مكونات الشجرة ليشرىوا منه واحدا تلو الآخر فيشرب كل سلف ويسلم الماء لخلفه شأن توارثه الأجيال أبا عن جد من تراث شفوي كالأمثال الشعبية والحكايات الهادفة وغيرها. فمن رفض الماء وحبسه عن نفسه سيحجف من محتواه القومي ثم ينقطع عن سياق حضارته فيسقط من على الشجرة إلى سطح الأرض حيث نقطة الصفر. في جانب آخر.⁽⁷⁾ نلاحظ جريان سلوكيات خاصة في عروق كل أمة .

وهو تراث سلوكي يمثل بالهواء الذي يبيت الحياة في الشجرة فهو ملتصق بها التصاق السلوك بالإنسانية كما أنها تتحرك بحركته حينما يدغدغها نسيمه العليل. أما ما خلفه الأجداد من آثار ظلت مصانة

كالحصون والقصور والسيوف والدروع وغيرها مما شهد على أجداد أمتنا العظيمة فهو بمثابة المواد العضوية التي تركتها الكائنات الأخرى في تربة بعد مذبليها أو مما تمها لكي تنهل منها الشجرة إلى أن تصبح قادرة على تكوين مادتها العضوية بنفسها.

لا حضارة وبدون تراث لأنها ستصير حضارة طفيلية ترتوي من تراث الآخر دون تراثها شأن الطفيليات التي تتقوت مما تنتجه الأشجار الأخرى فما إن تجس عنها الأشجار قوتها حتى تندثر مهما بلغت طولاً وعرضاً. بل يجب أن تكون الحضارة أصيلة لا تبعية عندها، مستقلة تملك جذورها العميقة الصناعات التقليدية: نتاج حضاري لآلاف السنين من التفاعل الحي بين المجتمعات المحلية بما تحمله من رؤى وقيم حضارية وبين بيئتها الطبيعية وبينها وبين المجتمعات الأخرى، وهي مكون أصيل للذاكرة الحضارية - خاصة في شقها التقني - ورصيد ومخزون للخبرات الحياتية والإمكانات الإنتاجية الذاتية المتاحة داخل كل مجتمع محلي .

أهمية الصناعات التقليدية: تغطي الصناعات التقليدية مدى بالغ التنوع والاتساع من المجالات: من تصنيع الغذاء والأدوية والغزل والنسيج والملابس والسجاد والحصر والفخار، وكذلك الصناعات التي تتعلق ببناء المساكن وإقامة السدود وحفر الآبار ووسائل المواصلات.. إلخ، كما أنها واسعة وقابلة للانتشار وصولاً لأصغر وحدة عمرانية: قرية كانت أو كنفراً أو واحة أو حياً وصولاً لأصغر وحدة للنسيج الاجتماعي الحضاري الحرّ وهي الأسرة النووية أو الممتدة.⁽⁸⁾ وانطلاقاً من هذه الرؤية تمثل الصناعات التقليدية الشموع التي نلجأ إليها عندما تنطفئ الكهرباء العمومية أي الوسائل المدارة مركزياً لسد حاجات الناس تضم الصناعات التقليدية تراثاً تقنياً أختبر بالممارسة عبر الأجيال، وهي بهذا المعنى تعطينا اتجاهات مستقبلية متميزة للتفكير والخيال وبالتالي الإبداع المنطلق والمرتكز على خصوصيتنا .

4- تفسير التراث:

ويمكن وضع لافتات تفسير التراث في مراكز تفسير التراث المخصصة أو في المتاحف أو المواقع التاريخية أو الحدائق أو المعارض الفنية أو حدائق الحيوان أو الأحواض المائية أو الحدائق النباتية أو المحميات الطبيعية ومجموعة كبيرة من مواقع التراث الأخرى. وتنوع وسائلها بشكل كبير للغاية، وقد تتضمن حالات السير المصحوبة بمرشدين ومحادثات ودراما والمحطات والعروض واللافتات والملصقات والأعمال الفنية والكتيبات

والأعمال التفاعلية والأدلة السمعية والوسائط السمعية والبصرية. وتُسمى عملية تطوير نهج منظم لتفسير هذه القصص والرسائل والمعلومات باسم التخطيط التفسيري .

- مفهوم الثقافة:

لم تشر المعاجم العربية القديمة إلى مفهوم "الثقافة" و لم تحدها تحديدا معينا في المعاجم القديمة تعني الذكاء والفتنة والحذق أي سرعة البديهة، أما في المعاجم الحديثة فهذه الكلمة لم تعد محصورة في الذكاء والفتنة وإنما تجاوزت هذا المدلول إلى مدلول أوسع وأرحب فيشير إلى أربعة معاني للثقافة نلخصها في النقاط التالية :

- الثقافة هي رياض الملكات البشرية و التي تتجسد في مختلف الإنجاز.

- إنها ترقية للعقل والأخلاق وتنمية الذوق السليم في مختلف الفنون والآداب الجميلة.

- تعد إحدى مراحل التقدم في حضارة ما.

- إنها من السمات المميزة لإحدى مراحل التقدم في حضارة من الحضارات من خلال هذه التعريفات المتعددة يتبين أن الثقافة لا تقوم حول تعريف أو مدلول واحد معين وإنما تشتمل على عدة معاني، فكل دارس يستخدم هذا اللفظ حسب مفهومه، فهناك من يحددها الثقافة في جانب التقدم الحضاري بل ويجعلها مرادفة للحضارة، أي تجاوز مرحلة الحياة البدائية في حين هناك من يربطها بالجانب الفكري أي ثمرة ما أنتجه الفكر. بمعنى أن الثقافة عناصر عديدة مختلفة، تمتص القوانين والأعراف الاجتماعية، وأشكال التفكير والسلوك والعادات، ووعاؤها الذي تخترن فيه كل خصوصياتها أما سليم جيهان فيقدم هو الآخر.⁽⁹⁾ لأنها حياة الأمة تعريفات للثقافة ابتداء من المعنى التقليدي وصولا إلى المعنى المعاصر، وهذه التعريفات هي:

- إن الثقافة بالمعنى التقليدي تعني النتاج الأدبي والفكري والفني، أما بالمعنى الأنثروبولوجي الموسع فتعني أنماط السلوك المادية والمعنوية السائدة في مجتمع من المجتمعات والتي تميزه من سواه. في حين مفهوم الثقافة اليوم قد اتسع معناها خاصة في العقود الأخيرة، إذ أصبحت تعني جملة النشاطات والمشروعات والقيم المشتركة التي تكون أساس الرغبة في الحياة المشتركة لدى أمة من الأمم، والتي ينبثق منها تراث مشترك من الصلات المادية والروحية يغتني عبر الزمان ويغدو في الذاكرة الفردية والجماعية إرثا ثقافيا بالمعنى الواسع لهذه الكلمة إن سليم جيهان يقدم من خلال هذا التعريف عدة مفاهيم للثقافة حسب الزمن والتخصص .

فهو يقف عند المفهوم القديم للثقافة والذي ارتبط بميدان الفكر والإبداع، ثم يقدم مفهوم الأنثروبولوجيين، ثم مفهوم الثقافة حسب ما يراه علماء اليوم والذي لا ينأى عن مفهوم الأنثروبولوجيين. وهذا المفهوم الأخير هو الذي نقصده في دراستنا هذه، أي ما يرتبط بحياة الإنسان نفكر فيه، ونمارسه، ونملكه، الإمكانيات أو العادات التي يكتسبها الإنسان باعتباره عضواً في مجتمع.

تايلور كما يبدو يركز على عناصر الثقافة المادية والمعنوية فأما العناصر المادية فتتجلى في الفنون أما العناصر المعنوية فهي: المعتقدات، العرف، العادات. (10)

وهذه العناصر لا تعمل متفرقة وإنما تشكل وحدة مترابطة ومتكاملة. فالثقافة لا تتكون من وحدات جزئية متفرقة من الفكر والإنتاج الإنساني، وإنما تمثل وحدة مترابطة ومتماسكة أساساً، فالأشياء أو المكونات المادية كالمسكن والمأكل والملبس على سبيل المثال ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالعناصر غير المادية، مثل المعتقدات والتقاليد والأخلاق، الأمر الذي يجعل من أسلوب الحياة لشعب معين أو ثقافته وحدة متماسكة ومترابطة مما يضمن لها الثبات والاستقرار من جيل لآخر

- العلاقة بين التراث والثقافة:

إن العديد من الدارسين لا يفرقون بين التراث والثقافة، ثم إن تعريف علماء الإثنولوجيا والفولكلوريين الأوروبيين للتراث قريب من تعريفهم للثقافة.

وهناك من الدارسين العرب من لا يفرق بين التراث والثقافة نذكر منهم فوزي العنتيل الذي هو الثقافة أو العناصر الثقافية التي تلقاها جيل عن جيل، أو التي انتقلت من « يعرف التراث بقوله فيكون التراث بذلك عناصر ثقافية متناقلة من الأجداد إلى الأحفاد، وبعبارة جيل إلى جيل آخر شكل ثقافي يتميز بسمة الانتقال الاجتماعي لا سيما وأنه يجمع مختلف الجوانب أو الموارد الثقافية سواء الفكرية منها أو المادية والتي يتوارثها الناس عبر الأجيال، وبذلك تكتسب صفة أي أن هذا الترادف يعبر عن استمرارية ثقافية في المجتمع البقاء والاستمرار.

مفهوم الموروث الثقافي: Cultural heritage

إن تحديد مفهوم " التراث " و" الثقافة " يسهل علينا ضبط مصطلح الموروث الثقافي فنقول الموروث "أن الموروث الثقافي هو حصيلة خبرات أسلافنا الفكرية والاجتماعية والمادية، أي أنه الثقافي والاجتماعي

والمادي، المكتوب والشفوي، الرسمي والشعبي، واللغوي وغير اللغوي، الذي، موجود في ذاكرتنا، يعيش معنا، وهو يتجسد في (11) وصل إلينا من الماضي البعيد والقريب في تصرفاتنا وتعبيرنا وطرائق تفكيرنا، « أشكال مختلفة خلال حياتنا اليومية - شئنا بذلك أم أبينا ومهما حاولنا القطيعة معه، أو إعلان موته نظريا أو شعوريا، تظل خطاطاته وأنساقه وأنماطه العليا حتى وإن طرأ عليه تغيير إلا أن هذا التغيير ليس " مرشحة في الوجدان ومتمركزة في المخيلة جذريا وإنما هو نسبي نتيجة ظروف مفروضة، هذا من جهة ومن جهة أخرى فإن بعض الموروثات حتى وإن هجرت فإنها ستحفظ في المتاحف كونها من تراث أجدادنا، وأنها أدت وظيفة في زمن ما.

فالموروث الثقافي إذن لا نعني به تلك الرواسب والمخلفات الثقافية لماض سحيق، فقدت وظيفتها من دون أن تكتسب وظيفة أخرى. لأن هذه النظرة الساذجة للموروث الثقافي تعمل على بتر التاريخ وتسلب حقه في التعبير عن الحاضر، والتأثير فيه، والتأثر به، وتجعله شيئا من مخلفات الماضي السحيق، وإنما آثارها تسكن دائما وجدان أفراد المجتمع. فيكون لعناصر الموروث بطريقة أو بأخرى حتى ولو اختلفت عن « الثقافي - من منظور الأنثروبولوجيين، دائما وظيفة تؤديها الوظيفة الأصلية، واعتبروا أن المخلفات والرواسب عناصر ثقافية مورثة من أوضاع أقدم ثقافيا وأن لها تأثيرها في أرقى الحضارات، كما اعتبروا أن المعتقدات والعادات مخلفات لماض قديم وقد اكتسب وجودها لا عن طريق المعرفة التجريبية المؤيدة ولا بالحقائق المؤيدة ولا بالقانون الوضعي وإنما بحكم العادة وعلى أساس أنها جزء من التراث إن الموروث الثقافي إنما يعني تلك الأشكال والعناصر الثقافية المادية والفكرية والاجتماعية، التي كانت سائدة في المجتمع في وقت ما، ثم طرأ على هذا المجتمع تغير، إذ انتقل من أوضاع إلى أوضاع أكثر حداثة، ولكنها الأشكال الثقافية لا تزال مستمرة في هذا المجتمع، متداولة بين أفرادها، يحافظ عليها ويتمسك بها، وهذه الاستمرارية لعناصر الموروث الثقافي بين الأجيال تربط السابق باللاحق معها من التواصل الحضاري عصابات فكر أجيال متعاقبة. (12)

-عناصر الموروث الثقافي: إن الموروث الثقافي غني بضرابه وعناصره، إذ يحوي مادة خصبة وثرية فإذا أخذنا بالتعريف القائل بان التراث هو الموروث الثقافي والاجتماعي والمادي فإنه يمكننا أن نحصر الموروث الثقافي في ثلاثة عناصر:

-الموروث الفكري

-الموروث الاجتماعي.

-الموروث المادي والفنون الشعبية.

ويمكننا أن نجعله في عنصرين : الموروث المادي والموروث المعنوي، وبعبارة أخرى التراث الثقافي وكما هو معروف لدى الباحثين، والمختصين يحتوي على جانبين: أولهما الملموس « المادي ما أنتجه السابقون من مبان، ومدن، وأدوات وملابس وغيرها. وثانيهما التراث الغير الملموس فيكون مجاله بذلك أوسع وميدانه أرحب، من معتقدات، وعادات وتقاليد وطقوس، ولغات وغيرها يتسع ليشمل كل الموروث المكتوب والمحكي، وكل الآثار التي بقيت من عمران وعادات » إذ وهذا الشمول والاتساع الذي يتسم به هذا الموروث لا « وتقاليد. ولها صلة وثيقة بالحقب الخالية كل مترابط ومتصل على مر الزمان في » يعني أن العناصر منفصلة عن بعضها البعض، وإنما هي المجتمع الواحد وينتقل من جيل إلى جيل عن طريق التعلم المقصود وغير المقصود، ويتراكم ذلك التراث بمرور الزمن ويحافظ كل جيل على التراث الثقافي الموروث من آباءهم، فلا يحطمون وإنما يحاولون دائما⁽¹³⁾ المنازل، ويهدمون المدن ويحرقون الكتب ويخربون الحقول والمصانع حفظه وصيانتته من الضياع والانذار.

إن الموروث الثقافي المادي يتوحد بالموروث الثقافي المعنوي، فهما غير منفصلان، لأن يشكل مجموعة من العناصر « الموروث الثقافي جملة من العناصر المتداخلة فيما بينها، فهو بذلك لا المتباعدة، أو الجزئيات المتفرقة التي تتكون وتعمل في فراغ، وإنما هناك موجهاً معرفية أو محددات فكرية تعمل متضافرة على تشكيل التراث وضمان استمراريته .

الموروث الاجتماعي: ويقصد به تلك السلوكيات والأفكار والمعتقدات التي مارسها أجدادنا وانتقلت إلينا، وهي تنحصر في ثلاث نقاط:

-المعتقدات.

-العادات والتقاليد الاجتماعية.

-الفنون الشعبية.

- المعتقدات : هي مجمل ما الطبيعي، وتتميز هذه المعتقدات بخصائص مميزة منها أنها ميدان أكثر من أي ميدان آخر من ميادين التراث الشعبي ما يعرف بالأفكار أو المواقف الإنسانية العامة أو ما يعرف بالأفكار الأساسية كما أنها تهتم بالبحث عن تصورات الناس عن بعض الظواهر الطبيعية والنفسية من

خلال هذا التعريف يتبين لنا أن المعتقدات مرتبطة بأفكار الناس حول الكون وما وراء الطبيعة ، فالمعتقدات ما هي إلا محاولة تفسير عقلية الإنسان للأمور الخفية . ولقد حاول فاروق أحمد مصطفى إحصاء أهم الموضوعات المرتبطة بالمعتقدات الشعبية والتي الأولياء والكائنات الحية فوق الطبيعة، والسحر، والطب الشعبي والأحلام، وحول تتمثل في الحيوان، وحول الجسم الإنساني، والأعداد والألوان والروح، والطهارة، والنظرة إلى العالم في وهذه المعتقدات تعمل على إشباع رغبات المجتمع مما جعلها ذات أثر فعال وغيرها تكوين عقلية الأفراد والجماعة وانتقالها من جيل إلى جيل بما يحفظ لها الاستمرار مر العصور.

-العادات والتقاليد الاجتماعية:

إن العادات والتقاليد الاجتماعية مرتبطة بسلوك الإنسان اليومي مع نفسه، وعلاقته بالآخر، وتكون مقدسة بالنسبة للمجتمع يخضع لها كل أفراده ويمارسونها بطريقة عفوية دون أن يجدوا لذلك الامتثال الجماعي والقبول والمرافقة الاجتماعية الجماعية والأمر الذي أكسبها قيمة هو ذلك التي التي قد تصل في بعض الأحيان إلى الطاعة المطلقة وتتوقف العادات الاجتماعية على ظروف المجتمع، فهي تختلف بحسب المجتمعات وبحسب الأزمنة المطلقة والامتثال الجماعي للعادات والتقاليد يدل على وحدة هذا المجتمع وارتباط أفرادها، ليكونوا بمثابة عضوا واحدا. وتنحصر العادات والتقاليد كما حددها عبد الحميد بورايو في النقاط التالية:

1- دورة الحياة -الميلاد، الختان، الزواج، الوفاة،

2- الأعياد والمناسبات المرتبطة بدورة العام - الأعياد الدينية، الأعياد الوطنية، احتفالات المناسبات الزراعية

3- معاملات الاجتماعية بين أفراد الجماعة -الاستقبال، التوديع، الضيافة، علاقة الصغير بالكبير، علاقة الغني بالفقير، علاقة الذكر بالأنثى، العلاقة بالغريب، آداب المائدة، فض المنازعات والتحكيم وهذا النوع من التراث هو تراث معنوي محفوظ في الذاكرة، متناقل من أذهان أجدادنا، إلى أذهان أحفادنا عن طريق الممارسة، وبما أنه كذلك - تراث معنوي - فإنه مهدد بالضياح والاندثار في أي وقت إن لم تعتن به الأمة وتصونه وتلقنه لأحفادها جيلا بعد جيل.

- أهمية وفاعلية الموروث الثقافي:

إن الموروث الثقافي كنز الأمة، به تفرض وجودها وتثبت ذاتها، وتحقق طموحاتها، وهذه أثرت في الموروثات - سواء كانت مادية أو معنوية - لها حضور دائم في ذهن المجتمع، لأنها حياة الناس الذهنية

وتأثرت بها، ولقد نظر مستخدمو تلك الموروثات إليها على أنها ملك دخل في حيازتهم، وعلى أساس ذلك الوضع الاجتماعي، بدأوا التصرف فيها، غير أن الموروثات المذكورة، كانت بالإضافة إلى قيمتها العملية الفنية والمعرفية ذات قيمة وجدانية هي -قيمة الرمز الذي ينتمي إلى الأسلاف فيعيد ذكراهم إن الموروث الثقافي يعد إحدى الوسائل الهامة التي تعرف بطبيعة ذلك المجتمع وبيئته، كما أنه يكشف عن خصوصية كل أمة. كونه سجل حقيقي لمختلف الجوانب الاجتماعية والفكرية والثقافية،... فهو يحمل همومها وآمالها ويعبر عن جزء من حياتها العفوية والساذجة، لأن هذه الممارسات التي مارسها الإنسان البدائي فورثها الأجداد ومارسوها كانت ذات قيمة وفائدة، لأن هذا بطريقته الخاصة والبدائية، فشكلت رصيده الثقافي والأدبي وبالتالي استمرت حية « الإنسان خلدها فمارسوها بكل صدق وعفوية لأنها أمانة في عنق كل إنسان.⁽¹⁴⁾ توارثها أبنائه على مر العصور غير على فكر أمته، مخلص لدينه ولوطنه، أما من ينظر إلى الموروث على أنه ساذج فهي نظرة فاعل ينغرس في تربية المجتمع ويخلد مثله ومسلّماته ومفاهيمه وعاداته خاطئة، إنه موروث وتقاليد وآماله وأحلامه، وينقلها بقوة وفعالية من جيل إلى آخر، فتبقى قوية وفاعلة إلى درجة أن الإنسان يعجز أحيانا عن تغيير أعمال وعادات يقوم بها من غير أن يعلموا حقيقة الأسباب التاريخية نظرا لعمق أصالته وقوته في ربط الماضي بالحاضر والمستقبل فكان بذلك التي دفعت إليها ضرورة حتمية في حياة الفرد اليومية.

إن هذه الأهمية جعلت بعض الأمم التي لا تملك تراثا قديما تنحصر، و الأمم التي تملك ذلك تتباهى وتفتخر، بل راحت تسعى إلى التثبيت به، وضرورة التمسك به، والمحافظة عليه، ومحاولة إحيائه بغية اكتشاف كنوز حمة من كنهه، واستخراج قيما عدة من عناصره. الأمر الذي جعله عماد الأمة وقوامها، فهو "روحها ومقومها الأساس، والأمم التي تتخلى عن تراثها وتهمله فإنها تتخلى عن ولعل هذا ما دفع العديد من الدارسين والمثقفين.... روحها وتهدم مقوماتها، وتعيش بلا تاريخ إلى وضع التراث نصب أعينهم، ومحاولة إحياء العناصر التي ظلت منسية، أو حاول الأعداء عن عمد وقصد في بعض أدوار التاريخ، وعن جهل وازدراء بقيمته في أدوار أخرى، من خلال الحكم عليه من منظور فكري، متعسف، بإحالتة إلى شبه وثن لا قيمة له، ولا علاقة له بحاضر الأمة ومستقبلها ووحدها ولعل عناية الدارسين بهذا التراث في مختلف اختصاصاتهم من مؤرخ واثق بولوجي وعالم اجتماع ودارس أدب.... خير دليل على

قيمته و أهميته ، و قد أعانهم هذا التراث على الوصول إلى معلومات قيمة و نادرة في منبعها الأصلي. (15)

وإذا شهد هذا الزمان تطوراً تكنولوجياً كبيراً عمل على انسلاخ هذا الجيل عن موروث أجداده، فإن الحنين إلى التجمع حول الجدة، وسماع الحكايات في دفيء عائلي ما زال قائماً ولم يعوضه تلفاز ولا كمبيوتر، لأن هذا الموروث لا يزال مخزوناً في أذهان لا شعوره وذاكرته الأبدية، ولا يمكن لأحد أن يستغني عن حكاية، أو أغنية « أجيالنا وحي في مهمما كانت درجة شعبية، أو حكمة قديمة، أو مثل متوارث، فكلها متعة للنفس، وحاجة ضرورية رفاهيته و ثقافته.

خاتمة:

إن الشوق والحنين يشد الإنسان إلى وطنه إذا ابتعد عنه ، و أنه سيشعر أنه بحاجة ضرورية المهده الأول لتفكيره ولثقافته وأي انفكك بين المرء وتراثه إليه، فكذلك التراث بالنسبة للإنسان كان يخلق منه إنساناً تتجاذب به أطراف الضياع وفقدان النفس وأن ضياع النفس مدعاة إلى التفكك ومن ثم كان الحفاظ على الموروث ضرورة حتمية على كل فرد أراد والتخلخل والشعور بالبوأس يوقظ في أن يؤمن مستقبله، ويعيش حياته كريماً، رافعاً رأسه بكل فخر واعتزاز. فالتراث هو الذي الإنسان ملكة البحث والتأمل ويدفعه إلى العمل والتغيير لأجل استكمال وجوده، فهذا الجزء يمكن أن الحريصة على يوصف بأنه قوة دينامية فاعلة لأنه صورة للإرادة الإنسانية النافعة في الحياة مستقبلها، لأن الأمة التي ضيعت تراثها وأهملتها، قد ضيعت حاضرها ومستقبلها وليس ثمة خسارة أكبر من هذه الخسارة التي لا تعوض. من هنا نود القول أن احترام الثقافات وتحررها عملية تنوية وهو ما حدث بالفعل بالبلدان العربية حينما تم مراجعة الثقافة المسيحية المغلقة والتي استبدت وهذا يؤكد ان قبل هذا التاريخ كانت هناك ثقافة غير تنموية مستبدة تؤمن بالخرافة والجهل وتكرس الأمية الثقافية ولولا الثورة عليها عبر التوجه البروتستانتي ما كان ان يوجد العلم الذي بؤاً للإنسان مكانة مشرفة بسبب التخليق والتحرر على جميع الأصعدة دفعه الأمر للإنتاج بوفرة وبطبيعة الحال كانت الثقافة قاطرة التنمية مستحضرة مختلف شروط ومؤهلات وإمكانيات لتحقيق ماترومه وهذا يتطلب موقف سياسي وفهم علمي لأن شروط متعددة قد تجعل الثقافة غير تنموية بسبب الهجرة والحروب والعنف اللغوي والقمع الإيديولوجي والأمية واحتكار القرارات السياسية وغياب الدعم والتهميش وهذا يتطلب ديمقراطية الدول في شموليتها لمواجهة اثر العولمة ومخلفاتها وإلا صارت ذليله للاختراق الثقافي.

الهوامش:

- (1) أومليل علي، فن التراث والتجاور، المركز الثقافي العربي، ط1، الدار البيضاء، المغرب، 1990، ص39.
- (2) الخضور جمال الدين، زمن النص، ار الحصاد للنشر والتوزيع، دط، دمشق، 1995، ص 15.
- (3) حسن حنفي، التراث والتجديد، موقفنا من التراث القديم، مكتبة الأنجلو المصرية، دط، القاهرة، دت، ص 12.
- (4) عبد السلام هارون، التراث العربي، دار المعارف، دط، القاهرة، دت، ص 5.
- (5) فاروق أحمد مصطفى، الأنثروبولوجيا ودراسة التراث الشعبي، دراسة ميدانية، دار المعرفة الجامعية، ط2، 2008، ص 229.
- (6) أحمد أبو يزيد، محاضرات في الأنثروبولوجيا الثقافية، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، دط، بيروت لبنان، 1978، ص 47.
- (7) أحمد مرسي، مقدمة في الفلكلور، دار الثقافة للطباعة والنشر، دط، القاهرة، 1975، ص 45، 46.
- (8) جبور عبد النور، المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، ط1، بيروت، 1979، ص 228.
- (9) منال عبد المنعم، الاتصال الثقافي "دراسة أنثروبولوجية في مصر والمغرب"، منشأة المؤلف، الإسكندرية، دت، ص 99.
- (10) عثمان حشلاف، التراث والتجديد في شعر السياب، ص 36.
- (11) محمد الجوهري، حسن الخولي و فاتن أحمد علي وآخرون، التراث الشعبي في عالم متغير، دراسات في إعادة إنتاج التراث أعين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط1، القاهرة، 2007، ص 54.
- (12) علي لطرش، الخطاب النقدي الاجتماعي وموقفه من التراث الأدبي العربي، نماذج من أعلامه، بحث مقدم لنيل شهادة دكتوراه الدولة في النقد الأدبي الحديث، كلية الأدب واللغات، قسم اللغة العربية وأدبها، جامعة الجزائر/2006، ص. 162.
- (13) محمد الجابري، التراث والحداثة، دراسات ومناقشات، مركز دراسات الوحدة العربية، ط2، بيروت، 1999، ص 45.
- (14) محمد عبده محجوب فاتن محمد شريف، التراث الشعبي، دراسة ميدانية في مجتمعات ريفية وبدوية، دار الوفاء للطباعة والنشر، ط1، الإسكندرية، 2007، ص 323.
- (15) محمد عبده محجوب فاتن ومحمد شريف، مرجع سابق، ص134.